

وقائع مؤتمر
الأمم المتحدة
عن دورية السيد
الشيخ محمد باقر
العلوي

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣

م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣ : كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا
المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط ١ . -

كربلاء: دار الوارث، ٢٠٢٣.

٨٢١ص: ٢٤سم

١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.

م . و .

٢٠٢٣ / ٣٦١٥

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة

التصميم والخراج الفني: قحطان عامر الطائي

الطبعة/ الأولى

سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣

المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،

ترجمة: أبا الحسن عباس



وقائع مؤتمرات
الإمام الحسين عليه السلام
والإمام علي عليه السلام
والإمام جعفر عليه السلام
والإمام موسى عليه السلام
والإمام أحمد عليه السلام

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبحوث في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠-شوال-١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ.د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني / رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ.د. نجاح فاهم العبيدي / جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدين الهادي / رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدين / معاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي / عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيَّاس / رئيس قسم اللغة العربيَّة جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي / عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي / الكليَّة التربويَّة المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي / جامعة الموصل

م.د. عماد طالب موسى / وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

م.د. عمَّار حسن عبد الزهرة / وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي / كليَّة المعارف الإسلاميَّة

م.م. علي فليح علي الفتلاوي / جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ
نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله الذي لا تُدرّكه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه على وجوده، وبحدوث خلقه على وجوده، وباشتباهم على أن لا شبه له، الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، مستشهداً بحدوث الأشياء على أزلته.. اللهم اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيشات الأباطيل، والدافع صولات الأضاليل.

وصل اللهم على أهل بيته، شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنوية الدولية؛ بغية تصدير المعرفة القرآنية إلى المؤسسات العلمية والحوزوية والأكاديمية، ومن جملة المؤتمرات التي يراها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي، وقد عُقد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١ / ٥ / ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهمية قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيّة كثيرة، فكان لزاماً أن تتصدّى المؤسّسات العلميّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيداً عن الشذوذ والآفات المجتمعيّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميّة المنحرفة في إشاعة السلبات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهة، أو منافع شخصيّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقاً فيه وتمزيقاً له وبتأّ للشبهات في مضامينه؛ لمعرفة بقوّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنّ علينا أن نبذل كلّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلّ أرجاء المعمورة؛ حتّى يعمّ نوره كلّ موطنٍ فيها وتكون الحجّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساساً في تبني المشاريع الإصلاحيّة، إيماناً بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضلال، ومن هنا عوّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيّة في القرآن الكريم على وفق ستّة محاور هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيّة على وفق المنظور القرآني.
٢. المجتمع المثالي في ضوء النّصّ القرآني.
٣. تحديات الحياة اليوميّة وصورة معالجتها قرآنيّاً.
٤. القرآن والتغيرات الثقافيّة.
٥. تقييم المشكلات الاجتماعيّة المعاصرة من المنظور القرآني.
٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثاً من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعية المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلمية ترشح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفية، وإسهاماً منه في رفق المكتبة الإسلامية بالدراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين (عليه السلام)
من المنظور القرآني

منهج الإصلاح الحسيني
دراسة مقارنة بين منهجي الأنبياء وسيد الشهداء

الأستاذ الدكتور أحمد حسين الصفار

بريطانيا - لندن

الملخص:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ سورة هود: آية (٨٨)، لدراسة الإصلاح ومنهجه نحتاج الى منطلق محايد وورصين لتحديد المبدأ وحيثياته. ولأنَّ موضوع حديثنا عن الحسين عليه السلام وهو القائد والمصلح الرباني فلا بدَّ من الرجوع إلى القرآن في ذلك وندرس ذلك المنهج. والإصلاح يحتاج إلى قيادة صالحة حقًا في نفسها، وتفقه معنى الإصلاح، وتؤمن به، وتحمل رسالته، وترى فيه واجبًا إلهيا لا بدَّ منه، وتعرف طريقه ومنهجه، وتحمل ثقل أعبائه، وتخلص له، ولا تخرج في أسلوبها عن خطه، ولا تختفي عن رؤيتها وسائله ومعالمه. ومن أقدر من الحسين عليه السلام يوم كربلاء على ذلك؟! وكيف يكون إصلاح للأمة والقيادة غير صالحة؟! وحتما فإن حجم الإصلاح يتبع حجم صلاح القيادة، وأن رسالية الإصلاح تتبع رسالية القيادة.

الكلمات المفتاحية: منهج الإصلاح الحسيني، دراسة مقارنة، منهجي الأنبياء

وسيد الشهداء.

Summary:

Almighty Allah said in his Holy book (Quran):

﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالَفَكُمُ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ٨٨

(He said, "O my people, have you considered: if I am upon clear evidence from my Lord and He has provided me with a good provision from Him... ? And I do not intend to differ from you in that which I have forbidden you; I only intend reform as much as I am able. And my success is not but through Allah. Upon him, I have relied, and to Him, I return)

To study the meaning of 'reform' & its approach, we need a neutral & thoughtful starting point to determine the principle and its merits.

Since we are talking about Imam Hussain (PBUH), as he represents the leader and divine Reformer, we have to go back to Quran and study that approach the reform needs good leadership, who knows its meaning, and believes in it, carries its message, see it as a divine obligation (as we have to do it), knows its path & Approach, bears its consequences, be faithful to it, and not leave its way, who can do that but Imam Hussain at the day of Ashura?

And how can you reform the nation with bad leadership?

Inevitably, the amount of the nation's reform follows the amount of (good leadership) and the reform's message follows leadership's message.

مقدمة:

لقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الوراثة التراكمية للعلم والانتفاع به، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر: آية ٣٢]. ومن يرث هذا التراث العظيم هم الصفوة الذين يتناولونه ويتفعلون منه بتطبيقه والعمل به، والورثة الحقيقيون لميراث الأنبياء، هم المؤمنون المخلصون الذين يتلون الكتاب الإلهي ويطبّقون وصاياه. وقد عدّ القرآن الكريم التمسك بالكتاب إصلاحاً، والحسين عليه السلام وارث الأنبياء والأولياء جميعاً في الإصلاح والتغيير، وهذا ما نصت عليه زيارة وارث: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ»^(١) وواقعة كربلاء لأنها تأكيد لدعوة الأنبياء الذين صارعوا الباطل لإصلاح الأرض بعد إفسادها بالظلم والجور.

منهج الإصلاح وأدواته:

لا يقوم الإصلاح إلا بثلاثة أركان وبغياب أحدها لا يمكن أن تتم عملية الإصلاح وهذه الأركان هي: المصلح، والمنهج، والبيئة.

أولاً: المصلح

قاد الحسين عليه السلام عملية الإصلاح بنفسه ولم يوكلها لغيره لجسامة الموضوع وأهميته. فهناك نقاط عدة لا بدّ أن تتوفر في شخص المصلح نستقرؤها من الآية الشريفة على لسان النبي شعيب عليه السلام قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: آية ٨٨]، وهذا هو هدف الأنبياء

(١) مفاتيح الجنان، عباس القمي ت ١٣٥٩ هـ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ص ٥٤٠

جميعاً، حيث كانوا يسعون الى إصلاح العقيدة، وإصلاح الأخلاق، وإصلاح العمل، وإصلاح العلاقات والروابط الاجتماعية وانظمتها، ولم يكن هذا الشعار: (إِنْ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحُ) شعار شعيب فحسب، بل هو شعار جميع الأنبياء وكل القادة المخلصين، وإن أعمالهم وأقوالهم شواهد على هذا الهدف (فهم لم يأتوا لإشعار الناس، ولا لغفران الذنوب، ولا لبيع الجنة، ولا لحماية الأقوياء وتخدير الضعفاء من الناس، بل كان هدفهم الإصلاح بالمعنى المطلق والوسيع للكلمة... الإصلاح في الفكر، الإصلاح في الأخلاق، الإصلاح في النظم الثقافية والاقتصادية والسياسية للمجتمع، والإصلاح في جميع أبعاد المجتمع)^(١) وفيما يلي صفات القائد الرباني شعيب (عليه السلام)؛ إذ إنَّ الحسين (عليه السلام) تمثل سيرته (عليه السلام) فسيد الشهداء هو وريث الأنبياء (عليهم السلام)، ومن هذه الصفات:

١. المصلح الصادق ذو بصيرة نافذة، فالبيّنة ووضوح المشروع والهدف من مقومات عمل المصلح، وهذا ما نلمسه بقول شعيب (عليه السلام): (إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي فَهوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى يَقِينٍ وَبَيَانٍ وَبِرْهَانٍ وَبصيرة ومعرفة من ربوبية ربه وعظمته)^(٢)، ولأنَّ العلم نور البصيرة، فالبيّنة توصف بالأبصار، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [سورة النمل: آية ١٣]، فأراد المصلح الرباني أن يشير إلى أن عمله هذا هدفاً معنوياً وإنسانياً وتربوياً، وأنه يعرف حقائق لا يعرفها قومه، وكذلك موقف الحسين (عليه السلام) ذو البصيرة الثاقبة، والذي تربى في بيت النبوة وسمع الآية الشريفة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف: آية ١٠٨] وهذا هو القائد الإلهي محمد (صلى الله عليه وآله) يدعو إلى الله على بصيرة من ربه، والبصيرة تمنع صاحبها من أن يكون إقدامه على العمل جزافاً، واتخاذ المواقف اعتباطاً، أو أن يتلصقاً في العمل، أو يُججم عن اتخاذ الموقف المناسب

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)،

قم، ج ٧، ص ٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، (ت: ٥٤٨)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،

١٩٩٥، ج ٥، ص ٢٦٤.

بعد تبين صحته، ورجاحة الإقدام عليه. وإنما ذو البصيرة يمضي على هدى ما أوضحه التبيين، وكشف عنه التحقق. ويتجسد ذلك في قول أمير المؤمنين عليه السلام: (إني لعلى بينة من ربي، وبصيرة من ديني، ويقين من أمري)^(١) وأن ما لاقاه الحسين عليه السلام من مواقف عليه القوم التي تنم عن ضعف بصيرتهم وكيف أن الحسين عليه السلام بين لهم سيره وهدفه من السير إلى العراق، قبل وعند خروجه من مكة يوم التروية بعدما دعاه والي المدينة^(٢) إلى البيعة ليزيد بن معاوية ومنهم عبد الله بن الزبير^(٣) وأبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي^(٤) وعبد الله بن جعفر^(٥) وعبد الله بن عباس^(٦) وأبو

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدني (ت: ٥٥٠)، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠، ج ١، ص ٢٦٣

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ابن أخي معاوية. تولى المدينة لمعاوية، ولابنه يزيد.

(٣) قال عبد الله بن الزبير للحسين عليه السلام: [و] لو جئت إلى مكة فكنت بالحرم، فقال الحسين [بن علي] عليه السلام: لا نستحلها ولا تستحل بنا، ولأن أقتل على تل أعفر أحب إلي من أن أقتل بها، وفي حديث آخر: خلا به عبد الله بن الزبير ونجاه طويلاً، قال: ثم أقبل الحسين عليه السلام بوجهه اليهم وقال: إن هذا يقول لي: كن حماً من حمام الحرم، ولأن أقتل وبينني وبين الحرم باع أحب إلي من أن أقتل وبينني وبينه شبر، ولأن أقتل بالطف أحب إلي من أن أقتل بالحرم. أنظر: كامل الزيارات، أبي القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي، مكتبة الصدوق، ج ١، ص ٧٢.

(٤) أناه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال يا ابن عم إن الترحم نظارتي عليك وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك قال: يا أبا بكر ما أنت ممن يستعش ولا يتهم فقل، قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره فأذكرك الله في نفسك فقال: جزاك الله يا ابن عم خيراً فقد اجتهدت رأيك ومهما يقضي الله من أمر يكن فقال أبو بكر إنا لله عند الله نحتسب أبا عبد الله، أنظر: تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ج ١٤، ص ٢٠٩.

(٥) كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إليه كتاباً يحذره أهل الكوفة ويناشده الله أن يشخص إليهم فكتب إليه الحسين إني رأيت رؤيا ورأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرني بأمر أنا ماض له، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٩.

(٦) قال له ابن عباس أين تريد يا ابن فاطمة؟ قال العراق وشيعتي، فقال: إني لكاره لوجهك هذا تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملة لهم أذكرك الله أن تغرر بنفسك، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

سعيد الخدري^(١) وأبو واقد الليثي^(٢) وجابر بن عبد الله^(٣) وأبو سلمة بن عبد الرحمن^(٤) والمسور بن مخرمة^(٥) وعبد الله بن مطيع^(٦) وعبد الله بن عمر^(٧)، وعمرو بن سعيد بن العاص^(٨)، وجابر بن عبد الله^(٩)؛ بل وحتى أخيه محمد بن الحنفية^(١٠) الذي منعه من

(١) قال أبو سعيد الخدري غلبني الحسين بن علي على الخروج وقد قلت له اتق الله في نفسك والزم بيتك فلا تخرج على إمامك، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

(٢) قال أبو واقد الليثي بلغني خروج حسين فأدركته بممل فناشدته الله ألا يخرج فإنه يخرج في غير وجه خروج إنما يقتل نفسه فقال لا أرجع، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

(٣) قال جابر بن عبد الله كلمت حسينا فقلت اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فوالله ما حمدتم ما صنعتم فعصاني وقال سعيد بن المسيب لو أن حسينا لم يخرج لكان خيرا له، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

(٤) قال أبو سلمة بن عبد الرحمن قد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

(٥) كتب إليه المسور بن مخرمة إياك أن تغتر بكتب أهل العراق، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

(٦) قال له عبد الله بن مطيع أي فداك أبي وأمي متعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذنا خوفا وعبيدا، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٧.

(٧) كان ابن عمر يقول غلبنا حسين بن علي بالخروج ولعمري لقد رأيت في أبيه وأخيه عبرة ورأيت من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له ألا يتحرك ما عاش وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإن الجماعة خير، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٧.

(٨) كتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص إني أسأل الله أني يلهمك رشداً وأن يصرفك عما يريدك بلغني أنك قد اعترمت على الشخوص إلى العراق فإني أعيدك بالله من الشقاق فإن كنت خائفا فأقبل إلي فلك عندي الأمان والبر والصلة، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٩.

(٩) قال جابر بن عبد الله: كلمت حسينا فقلت: اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض. فوالله ما حمدتم ما صنعتم فعصاني، أنظر: أنظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ﷺ].

وهم أحداث الأسنان]، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، ١٩٩٣، ج ١، ص ٤٤٥

(١٠) قدم عليه من خف معه من بني عبد المطلب وهم تسعة عشر رجلا ونساء وصبيان من إخوانه وبناته ونسائهم وتبعهم محمد بن الحنفية فأدرك حسينا بمكة وأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا فأبى الحسين أن يقبل، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢١١

الذهاب إلى العراق وكذلك حبس ولده من نصرة الحسين عليه السلام ^(١) كل هؤلاء وغيرهم عارضوا خروج الحسين عليه السلام بتبريرات مختلفة وبعضهم دعاه لبيعة يزيد أو للانعزال أو الذهاب إلى اليمن ^(٢) بعيدا عن سلطة يزيد. ومنهم من يذهب بعمى قلب وبصيرة إلا أن خروج عليه السلام كان (بتشجيع من عبد الله بن الزبير) ^(٣) وابن الزبير هذا هو المطلوب رأسه ليزيد بن معاوية أيضا. وهنا لا بد من ذكر حقيقة الوعي وما يطلق عليه بالبصيرة للقائد المتميز، فنرى أن الإمام الصادق عليه السلام قد امتدح العباس عليه السلام لנفاذ بصيرته ولم يثني عليه لشجاعته أو لبطولته أو لإيثاره وبالتأكيد كلها فيه عليه السلام لكنه شخص أهمية البصيرة فقال: «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أخيه الحسين، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً» ^(٤)، وكذلك كان الحسين عليه السلام ذا بصيرة عالية بما يدور في الأمة آنذاك، ولسان حال الحسين عليه السلام مستشهدا بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف: آية ١٠٨]. ولأنه يقود حملة الإصلاح وإرشاد الأمة لحركته العلنية فما كان عليه السلام يسلك في سيره من المدينة إلى مكة ^(٥) طرقا غير مألوفة خوفا على نفسه كما فعل عبد الله بن الزبير؛ بل إن الذي دعاه ليسلك الطريق

(١) حبس محمد بن علي ولده فلم يبعث معه أحدا منهم حتى وجد حسين في نفسه على محمد وقال ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه فقال: محمد وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢١٢، وانظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٥١

(٢) قال محمد بن الحنفية للحسين عليه السلام: انزل مكة، فإن اطمأنت بك الدار فيها فهو الذي تحب وإن نبت بك لحقت باليمن، فإن اطمأنت بك الدار فيها فسييل ذلك وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، أنظر: نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ويلييه نفثة المصدور فيما يتجدد به حزن العاشور، الشيخ عباس القمي، المكتبة الحيدرية، ج ١، ص ٦٦

(٣) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٤٦؛ البداية والنهاية، ابن كثير (ت: ٧٧٤)،

الفكر، ج ٨، ص ١٦٣؛ تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨

(٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني ابن عتبة، ص ٣٥٦

(٥) خرج الحسين من المدينة متوجها نحو مكة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب، وكان دخوله إياها ليلة

الجمعة لثلاث مضي من شعبان، أنظر: نفس المهموم، القمي، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٦-٧٣

الأعظم بين المدينة ومكة هو لإعلان حالة رفضه لبيعة يزيد وإظهار ممانعته لكل الناس، ولذلك قيل له: (لو تنكبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب قال لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو أحب إليه)^(١)، ودخل عليه مكة وهو يتلو الآية: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [سورة القصص: آية ٢٢].

٢. المصلح الصادق قوله يتطابق مع فعله: فلا يمكن له أن يفعل خلاف الأفعال التي ينهى الآخرين عنها بأن يصرفهم عنها وهو يصير إليها، وأن ما ينهاهم عنه ينهى أيضًا نفسه عنه. وفي هذا تنبيه لهم على ما في النهي من المصلحة العامة، وعلى أن شأن المصلح الرباني ليس شأن الجبابرة الذين ينهون الناس عن أعمال وهم يأتونها، لأن مثل ذلك ينبئ بعدم النصح لعدم صدقهم فيما يأمرون وينهون، إذ لو كانوا يريدون النصح والخير في ذلك لاختاروه لأنفسهم وإلى هذا المعنى يرمي التوبيخ في قوله تعالى: ﴿اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: آية ٤٤]. والقائد المصلح شعيب عليه السلام وضع بصريح الكلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [سورة هود: آية ٨٨] أي (أنه ما يريد مجرد المخالفة كشأن المنتقدين المتعربين، ولكن يخالفهم لمقصد سام وهو إرادة إصلاحهم، أي ما أريد إلى النهي لأجل أن أخالفكم، أي لمحبة خلافتكم. لأن انتفاء إرادة المخالفة إلى ما نهاهم عنه مجمل فيما يريد إثباته من أصداد المنفي فينبه بأن الضد المراد إثباته هو الإصلاح في جميع أوقات استطاعته بتحصيل الإصلاح)^(٢)

٣. المصلح الصادق دقيق في تقييم قدراته، فالتقدير الصحيح والواقعي لقدراته الذاتية والعملية بما في ذلك العلم والبصيرة وهما أمران مهمان جدا، ويضع المصلح نصب

(١) تاريخ الامم والملوك للإمام ابى جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠، منشورات مؤسسته الأعلمي

للمطبوعات، بيروت، ج ٤، ص ٢٦٠.

(٢) تفسير التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٤)، مؤسسة

التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠، ج ١١، ص ٣١٦

عينه أن ما يقوم به من تحريك وتبليغ وإعلاء كلمة الله كل ذلك إنما هو بتسديد من الله سبحانه وتعالى وليس من قدراته الخاصة فحسب، وذلك ما ردّه القائد الإلهي شعيب: ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [سورة هود: آية ٨٨]، وما قاله القائد الإلهي موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص: آية ٢٤] فموسى عليه السلام (كان ذا مراقبة شديدة في أعماله فلا يأتي بعمل ولا يريده وإن كان مما يقتضيه طبعه البشري إلا ابتغاء مرضاة ربه وجهاداً فيه)^(١) وقد أمدّ الله سبحانه وتعالى القائد الرباني طالوت بالبسطة في العلم والجسم: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٧] فهذه الفضيلة والسعة في العلم والجسم إنما هما ميزتان مهمتان في شخصية القائد، لأن (من شرط الإمام أن يكون أعلم من رعيته وأكمل وأفضل في خصال الفضل والشجاعة)^(٢)، ومما لا يشك فيه أحد من أمة محمد عليه السلام (إن أمير المؤمنين عليه السلام كان بعد النبي صلى الله عليه وآله أفضل الصحابة علماً وتقوى، وأشجعهم وأقواهم في دين الله وأقضاهم)^(٣)، فلا بدّ للقائد المصلح أن يكون أعلمهم وأدراهم بالمتغيرات السياسية ليستطيع أن يمضي بحركته الإصلاحية بشكل سليم،

٤. المصلح الصادق يتمتع بصدقية العمل بالنظرية والتطبيق، الصادق بالقول والفعل على المستوى الشخصي يجعل من نفسه الأسوة الحسنة التي ينقاد إليها الناس لتحقيق مشروعه في الإصلاح، عملاً بما قام به المصلح الرباني شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ إِلَّا وَأَنَا مُسْلِمٌ﴾ أي الست أنهاكم عنه ﴿ أي الست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه وإنما أختار لكم ما أختاره لنفسي)^(٤). وهنا يغيب الكذب والنفاق لتكون شخصية المصلح شخصية صادقة بعملها وشفافة بأهدافها ولا يطمع من مشروعه تحقيق أي مصلحة شخصية.

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج ١٦، ص ٢٥

(٢) تفسير مجمع البيان، الطوسي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٤٣

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، ج ١٣، ص ٤٣٨

(٤) معاني القرآن واعرابه، الزجاج، ج ٣، ص ٧٣

٥. المصلح الصادق ذو خطاب علني واضح وغير مبطن، فكما صرح شعيب (عليه السلام) في قومه مناديا بأعلى صوته: ﴿يَقُومُ﴾ فلا مجال عندئذ لتأويل خطابه وبرنامجه، وإن مفاتحة الناس بخطاب علني واضح المعالم كما فعله القائد الرباني يطمئن النفوس، وتُستوضح الأمور الشائكة، ويستهدي الناس إما الى الحق أو الى الضلال، وصرح بدعوته الى الله علانية وصدق بالقول جهارا وفي كل الأوقات نبي الله نوح (عليه السلام): ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ (*) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿ [سورة نوح: آية ٨-٩] فجهر نوح (عليه السلام) حينما يكون الجهر أجدى، كما وأسّر للذين يظنهم يتحاشون لوم قومهم عليهم في التصدي لسماح دعوته، وتاماما وبنفس الأسلوب فعله الإمام الحسين (عليه السلام). فأينما حلّ من طريق رحلته من المدينة الى مكة ثم الى كربلاء كان يدعو الناس ويحدثهم عن خطورة الفساد الذي استشرى في سدة الحكم والمجاهرة بالمنكرات. لذلك ولأجل الإعلان عن مشروعه والجهر به التقى في مكة بأعيانها، وفي مكة كانت غايته (عليه السلام) هناك أن يجتمع بوجهاء الناس وزعماء الأمة وأهل الرأي، الذين قدموا الى مكة للحج^(١). ومن لم يلتق بهم بعث اليهم بكتبه، وفي نموذج من كتابه الذي بعثه لأهل البصرة يقول: «وأنا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السّنة قد أميتت، والبدعة قد أحييت. فإن تسمعوا قولي أهدكم الى سبيل الرشاد»^(٢)، وواضح جدا مشروعه في هذا الكتاب وكذلك في قوله (عليه السلام): «وإني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»^(٣)، وقال (عليه السلام) في طريقه الى كربلاء: «إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، ألا ترون الى الحق

(١) موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج ١، ص ٤٣٢

(٢) لوايح الاشجان في مقتل الحسين (عليه السلام)، السيد محسن الأمين، ج ١، ص ٣٢

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ٣٢٩

لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقا حقا، فاني لا أرى الموت إلا شهادة، والحياة مع الظالمين إلا برما»^(١)، وأضاف عليه السلام «إنَّ الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»^(٢) فجاء إعلانه عليه السلام بالسير على نهج النص وهو نهج الرسول وعلي ابن أبي طالب تأكيداً لما فعله أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام من قبل.

٦. المصلح الصادق لا يلتفت الى تحقيق مآربه، وعدم الطمع أو الالتفات إلى الناس لكي يثنوا عليه، فصاحب التوجه الرباني في مشروعه مسدد من الله سبحانه وتعالى وهذا ما قاله القائد الرباني شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ «فبهداية الله ومعونته»^(٣) وردد الحسين عليه السلام ذات الخطاب، وأجره على الله تعالى وهو ما تعلمه من المدرسة القرآنية والبيت النبوي الشريف؛ إذ إنَّ جميع الأنبياء قد صدحوا بقولهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: آية ١٠٩] فترى الحسين عليه السلام ماضٍ في مشروعه وليس بتوجيه أو تخطيط من قبل الآخرين. وقد حدد فيه ذات الأهداف النبوية النبيلة فانطلق بثورته الخالدة حيث لم يخرج اشرا ولا بطرا، ولم يبع أي مصلحة مادية له أو لأسرته، وانما خرج على حكم الظلم والطغيان، يريد أن يقيم صروح العدل بين الناس، وما أروع قوله: «فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»، وكل ذلك رجاء توفيق الله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

٧. المصلح الصادق يتكل على الله، مسألة أخرى يطمئن إليها المصلح الرباني أنه يتكل على الله في حركته الإصلاحية لا على غيره فلا يهيمه تغير الأهواء والأمزجة أو التقلبات السياسية أو عامل الزمان طال أو قصر في عملية الإصلاح: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ

(١) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ٣٨١

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ٣٨٣

(٣) الصافي في كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني ت ١٠٩١هـ، مكتبة الصدر، طهران، ج ٢، ص ٤٧٩

رَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴿[سورة هود: آية ٥٦]. و«التوكل على الله يعني الرضا بتدييره مع تفويض الأمور إليه والتمسك بطاعته»^(١) حينئذ لا يرى في حركته إلا رضا الله تعالى والإخلاص له في مشروعه الإصلاحية وليس مراعاة أو طمع في مكسب دنيوي أو رضا الآخرين. وهذا ما أشعرنا به الحسين (عليه السلام) يوم العاشر من المحرم يقدم رجاله قرباناً بعد قربان، وضحية تلو ضحية في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وهدم أسس الانحراف والضلال، انطلق ليؤسس معالم الإصلاح في البلاد، وهو يقول: «اللهم إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى»^(٢).

٨. المصلح الصادق مع نفسه يعرف حدود استطاعته في العمل، ويتحدد ذلك من دراسة المجتمع دراسة متأنية ودقيقة وما سيؤول إليه من نتائج لذلك نرى في كلام المصلح الرباني شعيب (عليه السلام) من تقييم واقعي لقدراته فقال: ما دمت أستطيع الإصلاح فلو وجدت الصّلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه، في قوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي حسب قدرته وتمكنه من أداء عمله بأحسن وجه نوعياً لا كمياً. فالله سبحانه ينظر للنوع لا لكم فيقول: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: آية ٧]،

ثانياً: المنهج

للإصلاح منهج واحد في كلمة الحسين الشهيد (عليه السلام) هو ذاته منهج القرآن الكريم الذي ترجمه سيرة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله، وعليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) في الجهاد والحكم ومنه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بمعناها العميق الواسع، ومستوياتهما المختلفة، وآلياتهما المتعددة وشروطهما اللازمة، وأحكامهما الثابتة، وضوابطهما المحكمة. ويتجسد ذلك المنهج في بيان الحسين (عليه السلام):

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٢٢.

(٢) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين، عبد الكريم الحسيني القزويني، مكتبة الشهيد الصدر، ١٤٠٤،

«إني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام وسلم، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»^(١)، والمناهج كل المناهج من غير هذا المنهج الحسيني جائرة وفاشلة وخاسرة. فالحسين عليه السلام بخروجه على ظلم يزيد ودعوته الباطلة أعلن عن برنامجه بوضوح ومن غير ضبابية. إذ لم يخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً. إنما خرج عليه عليه السلام لطلب الإصلاح في أمة جدّه عليه السلام، منهجه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يسير بسيرة جدّه وأبيه عليه السلام وهي سيرة ملتزمة كلياً بخطّ القرآن، ولا تعدل عنه قيد شعرة. عاملاً بقوله تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران: آية ١٠٤، وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر»^(٢) وقد عمل بهما الحسين عليه السلام بإعلانه البيّن بالوقوف بوجه الفساد الذي مارسه النظام الأموي. «إن ثورة الحسين منهج متكامل ودستور قيم، وعلى كل من أراد الوصول إلى رضا الله تعالى أن يتمسك به ويلتزم بمفرداته حرفياً، وإلا فإن من لم ينتهج نهج الحسين لا يمكن أن نتصوره إلا فاسداً منحرفاً عن الطريق المستقيم»^(٣) ويمكن تلخيص منهج الحسين عليه السلام وهو هدف بعثة الأنبياء في إيقاظ الأفكار والأرواح بالنقاط الآتية:

١. الحوار وبيان المنهج بوضوح: بيّن الحسين عليه السلام في نهضته نهج الأنبياء وسلوكهم مع الآخرين في دعوتهم فتمثل قول الأنبياء: ﴿وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ سورة غافر: آية ٤١. لم يرفض الحسين عليه السلام لغة الحوار، ولم يرفض لغة التسالم

(١) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ٣٢٩

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٦

(٣) بيانات وتوجيهات سماحة آية اله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض، مكتب سماحة آية الله الشيخ،

والسلم، لكنه بنفس الوقت لم يقر معهما على الوضع الفاسد، وعلى هذا الخواء الشديد في روح وجسم الأمة الإسلامية. من المعلوم أنّ عملية التغيير تتجسد بأداء مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداءً وسلوكاً ينسجمان مع خطورة الواقع البشري المعاش، وضخامة الأهداف المراد من القائمين بهذا الواجب والأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر من تحقيقها في الواقع. وهذا يدعونا للتأمل في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) فقد بين الإمام موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائلاً: «بدأ الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنّها إذا أدت وأقيمت استقامت الفرائض كلّها هينها وصعبها؛ وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام، مع ردّ المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها»^(١).

٢. تشخيص الخلل في القيم الدينية والاجتماعية والسياسية: مما أناط (عليه السلام) عنه اللثام وشخصه بدقة انحراف الأمة بتغافلها وانجرافها بعيداً عن القيم الإسلامية والرسالة السمحاء وتماهيها مع المشروع الأموي بسهولة دونما أي مقاومة. فتصدى لها الحسين ع بيان نقاط ضعفهم وتقديم البديل للتغيير قائلاً: «فَأَنْتُمْ الْمَسْلُوبُونَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ، وَمَا سُلِبْتُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِتَفْرِقِكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَاخْتِلَافِكُمْ فِي السُّنَّةِ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ الْوَاضِحَةِ! وَلَوْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَذَى وَمَحَمَلْتُمُ الْمُؤُونَةَ فِي ذَاتِ اللَّهِ كَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرْدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، وَلَكِنَّكُمْ مَكَّنْتُمُ الظُّلْمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ وَاسْتَسَلَّمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ! يَعْملُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، سَلَّطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِرَارِكُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَإِعْجَابِكُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مُفَارِقَتِكُمْ، فَأَسَلَّمْتُمُ الضُّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبِدٍ مَقْهُورٍ وَبَيْنِ مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ، يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمُلْكِ بِأَرَائِهِمْ، وَيَسْتَشْعِرُونَ الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِمْ اقْتِدَاءً بِالْأَشْرَارِ وَجُرْأَةً عَلَى الْجَبَّارِ، فَيُكَلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مِنْبَرِهِ خَطِيبٌ يَصْقَعُ.

فَالْأَرْضُ لَهُمْ شَاغِرَةٌ وَأَيْدِيهِمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ وَالنَّاسُ لَهُمْ خَوْلٌ لَا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ، فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَذِي سَطْوَةٍ عَلَى الضَّعْفَةِ شَدِيدٍ، مُطَاعٌ لَا يَعْرِفُ الْمُبْدِيَّ الْمُعِيدَ، فَيَا عَجَبًا وَمَالِي لَا أَعْجَبُ»^(١) إِنَّ مَا قَامَ بِهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا لِأَنَّهُمَا غَايَةُ الدِّينِ^(٢) وَقَوَامُ الشَّرِيعَةِ^(٣) كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَمَسْتَجِيبًا لِلَّهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران: آية ١٠٤، لقد تحرك الحسين ع القائد الرباني لإصلاح ما فسد من أمور المسلمين وهو من الذين ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ سورة آل عمران: آية ١١٤، فهي دعوة صريحة إلى ناحية علمية تتصل بالإصلاح الاجتماعي، ولمنع الفساد في الأرض، وكذلك القيام بحق الأمانة في التعامل، وهو ما عمله النبي شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ، وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ سورة الأعراف: آية ٨٥-٨٧.

٣. لا يدعو منهجه عليه السلام إلى استبدال السلطة لنفسه: لم يكن تحرك الحسين عليه السلام في منهجه لاستبدال سلطة يزيد وخلعه منها ليكون هو الحاكم وإنما لإرجاع الأمة إلى

(١) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ١٠٠، ص ٨٠

(٢) «غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود»، أنظر: غرر الحكم ودرر الكلم،

الأمدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٩٠

(٣) «قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود»، أنظر: غرر الحكم، الأمدي، مصدر

سابق، ج ١، ص ٥٠٤

الشرية السمحاء وإرشادها إلى مساوى وانحراف الحاكم وطغيانه متمثلاً بذلك دور موسى عليه السلام بالوقوف أما طغيان فرعون بجرأة وصلابة وشجاعة: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ سورة طه: آية ٢٤ وكان صوته عليه السلام عالياً في إعلان تحركه فقال: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُسًا فِي سُلْطَانٍ، وَلَا اتِّمَاسًا مِنْ فُضُولِ الحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنُرِيَّ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وَسُنَنِكَ وَأَحْكَامِكَ»^(١).

ثالثاً: البيئة

الأمر الثالث لتحقيق الإصلاح هو البيئة التي يعمل عليها المصلح وذلك بالاعتماد على المنهج الرباني، فالمصلح الرباني يعمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تلك البيئة لمقتضيات يعيشونها يومياً وليس لإصلاح أموراً تعيشها بيئة أخرى وهي غير موجودة في تلك البيئة التي يعمل فيها. فشعيب عليه السلام وكما باقي الأنبياء أدوا دورهم في التبليغ مع بعدهم عن القيم السماوية. وامتازت البيئات المجتمعية المرافقة للأنبياء والمصلحين بما يأتي:

١. الإصرار على ما هم عليه: غالباً ما تمتاز هذه الأمم والجماعات بإصرارها على ما هم عليه، بل؛ يعتقدون أن إرشادهم وهدايتهم إلى الحق يعد تدخلاً في شؤونهم الخاصة فهؤلاء قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ سورة هود: آية ٨٧ وكان قوم شعيب عليه السلام يظنون أن المعاملات المالية وما يتعلق بها لا صلة له بالتدين.

٢. العناد وغلغلق منافذ العقل للنصيحة والإرشاد: ولا أجد أفضل من التعبير القرآني لعناد قوم نوح ووصفه الدقيق لتصرفهم وسلوكهم مع النبي نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾

(١) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ١٠٠، ص ٨٠

سورة نوح: آية ٧.

٣. التكذيب المستمر: على المستوى المجتمعي لدعوة الحق أو على المستوى الشخصي بأن يبرر لعزوفه عن سماع الحقيقة واندفاعه الطوعي في التكذيب، وغالبًا ما يتّصف الكاذب بالمداراة والمصانعة. ومن جواب سيد الشهداء عليه السلام ردًّا على كتاب معاوية يستعرض فيه طبيعة الناس المحيطين به عليه السلام من الكذب والخداع فجاء فيه: «أما بعد: فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها. وإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت إنه رقى إليك عني فإنما رقاها الملاقون المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الجمع، وكذب الغاؤون المارقون، ما أردت حربا ولا خلافا، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم. إلى آخر الكتاب»^(١)، وأكثر من ذلك معاوية بنفسه يتجاهر بالكذب وكان في حديثه للحسين عليه السلام: «قال معاوية: أمّا ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني؟»^(٢)

٤. الولاية الخاطئة: إذا ما انسجمت مقومات الشخصية الإنسانية في الفكر والعاطفة والسلوك مع المنهج الإلهي في الحياة، وتكون هذه المقومات متطابقة مع بعضها، فلا ازدواجية بين الفكر والعاطفة ولا بينهما وبين السلوك، وهي وحدة واحدة عندها يكون فيها الولاء والممارسة العملية لله وحده ولمنهج التوحيد الذي دعا إليه في جميع مفاهيمه وقيمه وبعبكسه يسهل على الشخصية التائهة أن توالي مع ما ينسجم مع هوى النفس، وهذا ما كان للكثير من بني إسرائيل: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبَسِّ مَا قَدَّمْت لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ سورة المائدة: آية ٨٠-٨١

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦)، الشريف الرضي، قم، ١٤١٣، ج ١، ص ١٥٦

(٢) الإمامة والسياسة، الدينوري، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٢

٥. الإذعان والخضوع للقادة المنحرفين: فمن الطبيعي أن تميل النفس البشرية بالإذعان والخضوع للأكابر والمتنفذين وتقلد في سلوكها المفاهيم والقيم من تلك الشخصيات البارزة في المجتمع، وذات التأثير فيه؛ لما تمتلك من سمات التأثير الذاتية والعملية، بوصفهم قادة المجتمع من السياسيين والمفكرين والعلماء ورؤساء القبائل وغيرهم، فبانحراف هؤلاء ينحرف المجتمع بسهولة، ومن الأمثال القديمة: الناس على دين ملوكهم، فباستقامة هؤلاء القادة فالجميع من الرعايا يستقيمون والعكس صحيح. ومن البديهي أن معيار السيادة وكون الشخص مبرزاً بين أفراد المجتمع هو السيطرة بالقوة، والمال والثروة غير مشروعة، والخداع والمكر: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ سورة الأحزاب: آية ٦٧، في مثل هذه الحالة يتفشى الانحراف ويستشري ويصعب اصلاحه وتغييره. وهنا كرس الحسين (عليه السلام) هذه الفكرة وأهميتها بدور القائد في المجتمع لمراسليه من أهل الكوفة بكتبهم اليه بالقول: «ليس الامام العامل بالكتاب والعاقل بالقسط كالذي يحكم بغير الحق ولا يهدي ولا يهتدي»^(١)

٦. وقوع الفتن بين أهل الضلال: وإذا وقعت الفتن فسيعيش المجتمع ظاهرة الاضطراب الفكري والنفسي والسلوكي بتبادل النظرة السلبية، والموقف المتشجع، مما يدخله في صراع دائم ومستمر يتبادل فيه الاتهامات مما تؤدي به الى الانحراف والفسوق وربما الى الكفر ويصبح هو المؤثر على العلاقات بين أفراد المجتمع ويستشري التحلل الأخلاقي من غير الاستناد إلى الأصول البيّنة للمنهج الإلهي. قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تُتَّبَع، وأحكام تُبتدع، يُخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجالٌ رجلاً، على غير دين الله»^(٢)

دور الحسين (عليه السلام) وتميزه عن دور الأنبياء (عليهم السلام):

(١) الفتوح، احمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١، ج ٥، ص ٣١

(٢) المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي (ت: ٢٧٤)، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٧١، ج ١، ص ٢٠٨

فالحسين عليه السلام كما الأنبياء عليهم السلام تصدوا للفساد وأصلحوا ما تعاقبته الأجيال من سلوكيات وممارسات خاطئة بعيدة عن القيم الربانية التي شرعها سبحانه وتعالى، والحسين عليه السلام محور حديثنا عمل بالتأكيد على إصلاح ما أفسده النظام الأموي بحق المسلمين. ولذلك نرى الحسين عليه السلام قد تحرك وعظا وتحذيرا وإرشادا في كل منطقة نزل فيها وقد أوضح نقاط الفساد والعمل على محاربتها ليلا ونهارا. عملا بالمنهج الإلهي والتزاما بسنة الرسول ص ففي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على أيدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم»^(١)، ونلاحظ في كلام الإمام الحسين عليه السلام عندما شاهد صفوف أهل الكوفة بكر بلاء قد اجتمعوا أمامه كالليل المظلم والليل العارم، قال: «فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا وَيَسَّ الْعِبَادُ أَنْتُمْ أَقْرَبْتُمْ بِالطَّاعَةِ وَأَمْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ أَنْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعِثْرَتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكُمْ ذَكَرَ اللَّهُ الْعَظِيمِ فَبَنَّا لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ هُوَ لَا يَفْعَلُ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(٢).

وهنا لا بد من التأكيد على نقطة في غاية الأهمية هي تميز دور الحسين عليه السلام عن أدوار الأنبياء عليهم السلام في تحركهم للتصدي للظلم والضلال والانحراف المجتمعي هو أن الأنبياء عليهم السلام تحركوا في مجتمعاتهم لتثبيت قوة الحق والقيم السماوية أمام الباطل والقوى المتجبرة الشيطانية المتمثلة باعتناقهم للعقائد المنحرفة والشرك يعني هناك واجهتان ظاهرتان ومتضادتان هي قوى الحق والباطل ووضوح الشرعية لأهل الحق. فكان دور الأنبياء واضحا جليا في تبنيهم للشرعية الإلهية ووقوفهم بوجه العقائد الضالة، فالشرعية واضحة للأنبياء عليهم السلام وغيرهم يدينون بالعقائد الضالة، أما ما قام به سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام من بعد أبيه وأخيه، أنه قد واجه ما هو أكثر تعقيدا وإشكالا؛ فالمجتمع

(١) كنز العمال، المتقي الهندي (ت: ٩٧٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩، ج ٥٥٢٧، ص ٣، ص ٦٧

(٢) المناقب، ابن شهر آشوب (ت: ٥٨٨)، علامة، قم، ١٣٧٩، ج ٤، ص ١٠٠

هو مجتمع مسلم وأنه في ظل الشريعة الإسلامية بمعنى عقيدة واحدة، وهو بذلك يتمتع بالشرعية وهي شرعية خاتم الأديان، ولكن هناك سلوكان يتمايزان في التدين: مجتمع التدين الصحيح، ومجتمع التدين الزائف الذي عمل عليه النظام الأموي وكرّس كل قواه لتثبيته. وهنا تكمن الخطورة في دوره عليه السلام.

فقد سلك عليه السلام منهج جده صلوات الله عليه وآله وأبيه وأخيه عليه السلام بأن حدد مفهوم الشرعية في المجتمع ولمن تعود. فقد التفّ النظام الأموي على الإسلام المحمدي بدهاء ومكر وخديعة من جهة وغفلة الناس وبالقوة والبطش من جهة أخرى قد عمدتا إلى سلب الشرعية من أصحابها وتقمصها ثم أضفى عليها بما يسيء للشرعية السمحاء بأحاديث موضوعة وبتشويه وتنكيل بمن يقف بوجه النظام الأموي خدمة لمصالحه وإحكام قبضته على زمام الحكم. مما دفع الإمام الحسين عليه السلام إلى أن يثير الوعي ويشجع الناس في تلمّس الشرعية فيمن تكون وحثهم على الالتفاف حول أهلها. فشخصّ أولاً السلوك الزائف الذي ابتدأه معاوية ومن بعده ابنه يزيد اللذان سلبا الشرعية، وبهذا دفع الطائش يزيد بقوة هذه الشرعية التي ادّعاها أن يفسد ويحرّف في قيم الشريعة السمحاء مما جعل الإمام الحسين وبقوة أن يثير غبار الجهل والغفلة عن عقول الناس وينبهمهم الى خطورة هذا الانحراف. ثم عمل الحسين عليه السلام في منهج إصلاحه ونهضته بشكل واضح وأكدّه في كل كلماته الشريفة إلى تثبيت الشرعية لنفسه والدعوة لها، التي وضحها الإمام الصادق ع بقوله: «ألا وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا معنا راية الحق من تبعها لحق ومن تأخر عنها غرق ألا وبنا يدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربيعة الذل عن أعناقكم، وبنا فتح لا بكم، وبنا يختم لا بكم»^(١)، فلم يفرط سلام الله عليه ببند من بنود منهج إصلاحه، وسار على ذلك أنصاره

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧٦

وحملوا ذات المنهج وأصبحوا حسيّني المنهج والسلوك؛ فكان برنامج الإصلاحية أن يأتي بالبديل الإلهي للمنهج ولم يكتف بالدعوة لاستئصال الشرعية الفاسدة ليزيد، بل بالإضافة إلى ذلك التأكيد على اتباع المنهج الإلهي. أنظر لكلام معاوية في محاولة منه لبناء الشرعية لابنه يزيد: «قال معاوية: أما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفساً فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني؟ فقال معاوية: مهلاً عن شتم ابن عمك، فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك. ثم التفت معاوية إلى الناس وقال: أيها الناس، قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض، ولم يستخلف أحداً، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر، وكانت بيعة هدى، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة، رأى أن يستخلف عمر، فعمل عمر بكتاب الله، وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر، اختارهم من المسلمين، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف، ونظراً لهم بعين الإنصاف.»^(١) وهو ذات الأسلوب الذي اتخذ فرعون في سلب الشرعية بادعائه الربوبية لنفسه مفضلاً نفسه على باقي معبودات وأرباب قومه: ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ سورة النازعات: آية ٢٤، ومن ثم رأى أن ذلك قليل بحقه فتجاوز محور الربوبية كثيراً وقفز إلى محور أدق وأخص مدعياً الألوهية ليضفي على نفسه شرعية أوسع: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ سورة القصص: آية ٣٨، وقد كان موسى عليه السلام يهدم هذه الفكرة بزعم فرعون الألوهية ثم يضع البديل بذات الوقت ويثبت الألوهية لله سبحانه بنفيها عن غيره: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ سورة الإسراء: آية ١٠٢ وهذا ما قام به الحسين ع بدوره الإصلاحية من خلع الشرعية التي ادعاها يزيد لنفسه ظلماً وجوراً وتثبيت المسار الصحيح في الاستحقاق الصحيح للشرعية.

(١) الإمامة والسياسة، الدينوري، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٢

الخاتمة

لقد واجه الحسين (عليه السلام) طاغية زمانه يزيد، الذي عمّق الشرخ الذي ورثه من أبيه معاوية في تشويه الشريعة الإسلامية، وزاد في تغيير المسار الأخلاقي والاجتماعي والسياسي، وذلك للعمل في توهين الشريعة وقدسيتها الدين عند الناس من جهة وفي تشويه سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وذم أهل البيت (عليهم السلام) وسبهم، وابتدع مدارس فكرية منحرفة من جهة أخرى إن كل تجارب الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) وآخرهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد ورثها الحسين (عليه السلام) الشاهد على أمته. الحسين (عليه السلام) قد ورث الأنبياء علما، وعملا، وأسلوبا، ومنهجاً.

ومن المعلوم من المنطوق القرآني والسيرة الشريفة، أنّ لكل انحراف يسعى إلى محاربة السنن الإلهية أن يتصدى له مصلح إلهي وقائد رباني. فاستعرضنا هنا نهضة القائد الإلهي شعيب ع - كمثال - وقارناها بقيادة الحسين (عليه السلام) الإلهية فكان الحسين (عليه السلام) لما رأى بداية انحراف الأمة عن الشريعة السمحاء بعدما أراد معاوية ويزيد أن يشرّعا لهذا الانحراف فمارسا الموبقات علانية وأمرّوا على الأمصار من كان مشهورا بالفسوق ومنهم من كان يصلي الفجر وهو مخمور ويستهنأ بالمصلين. وكان شاهدا على ما يجري. فأصبح لزاما عليه أن يتصدى لهذا الانحراف الشديد كما فعل الأنبياء (عليهم السلام) من قبل: ﴿وَيَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ سورة النحل: آية ٨٩.

المصادر:

١. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري ت: ٢٧٦، الشريف الرضي، قم، ١٤١٣
٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، قم.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء
٤. البداية والنهاية، ابن كثير ت: ٧٧٤، الفكر
٥. بيانات وتوجيهات سماحة آية اله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض، مكتب سماحة آية الله الشيخ.
٦. تاريخ الإسلام، الذهبي، شمس الدين، ج ٨، ص ٣١٢
٧. تاريخ الأمم والملوك للإمام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠، منشورات مؤسسته الأعلمي للمطبوعات، بيروت
٨. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ت: ٥٧١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥
٩. تفسير التحرير والتنوير تفسير ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ت: ١٣٩٤، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠
١٠. تفسير مجمع البيان، الشيخ الطوسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥
١١. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ص. وهم أحداث الأسنان، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد ت: ٢٣٠هـ، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، ١٩٩٣
١٢. الخصال، الشيخ الصدوق

١٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد
١٤. الصافي في كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني ت ١٠٩١هـ، مكتبة الصدر، طهران
١٥. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني ابن عتبة
١٦. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي ت: ٥٥٠، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠
١٧. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي ت: ٣١٤، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١
١٨. كامل الزيارات، ابي القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي، مكتبة الصدوق
١٩. كنز العمال، المتقي الهندي ت: ٩٧٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩
٢٠. لوايح الاشجان في مقتل الحسين (عليه السلام)، السيد محسن الأمين
٢١. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
٢٢. المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي ت: ٢٧٤، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٧١
٢٣. معاني القرآن واعرابه، الزجاج
٢٤. المناقب، ابن شهر آشوب ت: ٥٨٨، علامة، قم، ١٣٧٩
٢٥. موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، بيروت
٢٦. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي
٢٧. نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ويليه نفثة المصدور فيما يتجدد به حزن العاشور، الشيخ عباس القمي، المكتبة الحيدرية
٢٨. الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين، عبد الكريم الحسيني القزويني، مكتبة الشهيد الصدر، ١٤٠٤



